الفصل الأول
الحلم.

انهمرت دموعها كزخات مطر يجوب طرقات المدينة، كانت دائمًا عقب كل كارثة تتحصن بهذا الدرع الواقي الذي لم يخب أبدًا، كانت تعرف نقطة ضعفه فكانت تستعطفه بهذه الطريقة الأنثوية المجربة، وعندما تعيها السبل تكون دموعها ملاذها الأخير، أما هو فكان لايصمد أمام سلاحها الفتاك فيهرول نحوها ويضمها لصدره، فتحتضنه بقوة وتداعب شعره، لكن هذه المرة عندما لمست يدها يده رفع يده عن يدها علي غير عادته، وسرعان ماتخلّص من حضنها فلأول مرة يشعر أنه متلفح بحية فحيحها يخترق أذنه وعطرها سم منقوع مخدر يصيبه بالدوار والغثيان.

تجمدت مكانها ولم تصدق أن سلاحها الفتاك وحصنها المنيع قد تهاوى، فزادت في البكاء بشكل هستيري عله يعاود، فنظر لها شزرًا واشمئزاز وخرج من قلعتها (حجرتها) مهروًلا إلي الصالة حتي يتقيأ أنفاسها التي كادت أن تخنقه، شعر بألم في عنقه، وضع يده علي عنقه، ونظر في المرآة فوجد احمرارًا شديدًا وأثرًا يشبه كما لو أن حية رقطاء مرت علي رقبته وحاولت خنقه.

قررت الاستمرار في لعبتها حتي النهاية لملمت أشيائها، وضعت رابطة سوداء حول عنقها واتشحت بالسواد بفستان أسود فوق معطفها الأسود، وارتدت نظارتها الكبيرة السوداء وأصبح حالها كما لو أنها سيدة متوجهة لحضور واجب عزاء.

خرجا إلي الصالة أصبحا في مواجهة بعضهما البعض، ظنت أنه سيتشبث بها ويمنعها عن الرحيل، لكنه اتجه إلي الباب وفتحه علي مصراعيه وأعطاها ظهره، تسمرت مكانها، تصنعت البكاء، فلم يعرها اهتماماً، وقفت بمحاذاته، خلعت نظارتها تحاول استعطافه والتوسل إليه بتأثير عينيها الفاتنتين، ولكنه لم يرق ولم يضعف، وضعت يدها علي كتفه، أزالها بقوة فسقطت ساعتها على الأرض، فكرت في حدث أقوى، فتظاهرت بالإغماء، دخل شقته وأغلق الباب بهدوء وكأن الأمر لايعنيه، وكأنه تخلص من جبل جثم علي صدره لسنوات وسنوات، ولأول مرة يدخل إلي حجرة نومه فرحًا منتشيًا فاخيرًا هزم تردده واسترد كبرياءه وثأر لكرامته وانتصر لرجولته.

(قوم إصحي علشان تمشي على الشغل الساعة سبعة)

يلتفت يمينًا ويسارًا كالمجنون، ينظر في اتجاه الباب يجده مغلقًا وهو في حجرة النوم وهي بجواره علي نفس السرير تغلق جرس المنبه.

قام من سريره اتجه لباب الشقة يبحث عن ساعتها التي سقطت بجوار الباب، فلم يجد شيئًا والباب مغلق (بالضبة والمفتاح) ذهب للحمام ومازال يتحسس رقبته.

نهار ما بعد ليلة الحلم.

ذهب إلي عمله علي عجل فقد داهمه الوقت ولابد أن يصل إلي عمله الحكومي قبل الساعة الثامنة والنصف حتي يمضي في البصمة، هذا الإختراع اللعين الذي كان يمقته ويشبهه بزوجته التي لاتعرف الأعذار، فهي زوجة بلا قلب لاتري زوجها إلا آلة ومجرد وسيلة لجلب المال، وفي وقت القبض تحاسبه بالسحتوت كانت تعرف كل مليم دخل إلي جيبه قبل أن يضع بطاقة الفيزا في ماكينة الصرف فكان يشعر أنه (كعامل دليفري) مجرد أداة للتوصيل فقد كانت تقارن وصل القبض بالمبلغ المقبوض، و(يا ويله) لو كانت ماكينة الصرف في وقت قبض المرتب خالية من الفئات ترميه بكل نظرات الريبة والشك وتُسمعه من قاموس

الاتهامات والإهانات وعدم الأمانة مالايتحمله بشر والفرق كله خمسة أو عشرة جنيهات على أقصى تقدير، ثم تسرد له أسطوانتها التي حفظها عن ظهر قلب (العيشة وإللي عايشينها) والغلاء الفاحش وأنه زوج (قليل الحيلة) (ومش ملحلح) كبقية الرجال فكان عكس كل الرجال يكره يوم قبض المرتب.

دلف إلى مكتبه العتيق بعدما مر بعدة دهاليز تشبه القبو ومر على عدة غرف يسمونها أقسام، صبح على كل قسم ثم دخل قسمه قسم الشئون المالية بمشيخة الأزهر، حيا كل زملائه وخص زميل دراسته وصديق عمره الأستاذ علاء بتحية خاصة فمنذ المرحلة الابتدائية وحتي الجامعة لم يفترقا فقد تخرجا معا من جامعة الأزهر كلية التجارة، كما أنهما جاران بشارع الأزهر فعلاء يسكن بجوار الجامع الأزهر أما (علي) فكان يسكن بحارة العقادين بالغورية

وخدمهما القدر بالعمل معا في مشيخة الأزهر بالقاهرة في قسم الشئون المالية.

(علاء): إيه الأخبار ياعم (علي) عملت إيه إمبارح؟ هل نفذت مااتفقنا عليه؟

(علي): نعم ياصديقي نفذت كل مااتفقنا عليه بحذافيره ولكن في الحلم!

(علاء): في الحلم!! ماذا تقصد؟

(علي): لم تواتني الشجاعة كالعادة لأنفس عن غضبي معها في الواقع ولكني نفست عن غضبي في الحلم.

ثم أخذ يسرد حلمه لصديقه علاء.

كان علاء ناصحه الأمين وحاول مرارا وتكرارا إصلاح ذات البين بين صديقه وزوجته ولكنها كانت كالمهرة التي بلا لجام يصعب السيطرة عليها وزوجها لايستطيع ترويضها لأنه ببساطة

من وجهة نظر علاء (مش مالي عنيها) ورجل طيب خلوق محترم مش بتاع مشاكل وبيحاول (يكبر ويمشي علشان خاطر عياله) ولم يفلح مرة في معاقبة زوجته على أي خطأ اقترفته في حقه ففي مرة من المرات خرجت مع زوجها ووقفت أمام (فاترينة) في وسط البلد وأعجبت بفستان فاقتحمت المول وتركت زوجها لتتأكد من ثمن الفستان الذي كان سعره مكتوبًا علي صدر (المانيكان) ألفا جنيه بعد الخصم ولم يكن معها إلا ألف وخمسمائة فخرجت لزوجها تسأله ما معه من نقود؟

فقال لها أية نقود المرتب كله معكِ (أنا باخد المصروف منك حتي مصروفي وأجرة الطريق والمواصلات باخدهم منك).

زمرجرت وصرخت يعني إيه (يامنيل علي عينك) الفستان طالع من عنيا عاوزة اشتري الفستان وإلاحايجرالي حاجة محتاجة خمسمائة جنيه إتصرف).

- (أعمل إيه يعني)؟

- استلف من صاحبك علاء؟

- ما أنا لسه سالف منه عشرة آلاف جنيه علشان عملية الواد ولسه مسددتهومش، بأي عين أستلف منه؟

- معرفش ماليش دعوة كلمه! لازم أشتري الفستان!

- مش حاكلمه هو أنا معنديش دم؟ كفاية بقي ياما استلفت منه وبسدده علي سنين ولسه عليَّ ديون حرام عليكي حسي بيَّه.

- (حرام عليك إنت ضيعت شبابي وجمالي راحوا معاك هدر جسمي داب من الطاقمين العمي الكحيانيين إللي انت اشترتهمولي من سنين وعمالة أرقع فيهم).

علا صوتها وأمسكته من لياقة القميص وقالت له:

- مش حامشي من هنا إلا لما أشتري الفستان غصباً عنك.

- حاضر، خمس دقائق بس.

ذهب إلي محل للساعات ليبيع ساعته (الروليكس) التي كان يحتفظ بها لأنها من (ريحة والده) فهي آخر ماتبقي له مع الشقة من إرث والده.

تفحصها البائع: عاوز فيها كام ياأستاذ؟

وقبل ماينطق (علي) أكمل البائع: دي موديل قديم وصعب نصرفها دلوقتي الشباب بيحب الساعات الروشة الحديثة.

(علي) دي سنييه؟

- ياأستاذ الدنيا اتغيرت.

(علي) من الآخر تشتريها بكام يعني؟

البائع علشان خاطرك بثلثمائة جنيه.

(علي) طب ممكن تخليهم خمسمائة؟

طار البائع من الفرحة فالساعة ثمنها يتجاوز ذلك أضعافا مضاعفة.

البائع في تصنع...علشان خاطرك ياأستاذ وعلشان خاطر وشك السمح مش حاكسفك اتفضل الخمسمائة جنيه أهُم.

كان المشهد مؤلماً شاهده القاصي والداني حتي أن بعض المارة صور الموقف بكاميرا تليفونه المحمول وأخذ رواد الفيس بوك يتداولون هذا المقطع، وصار حادثة يتناقلها الناس علي الألسنة وبلوتوث الموبايلات وحقق ملايين (الشير) والمتابعات واللايكات والتفاعلات في مصر والوطن العربي.

صار (علي) بين لحظة وضحاها حديث الناس ومابين متعاطف معه وبين من يكيل له السباب والاتهامات ويصفه بأشنع

الألفاظ، لكن معظم التعليقات كانت ضده وتصفه بعدم النخوة والرجولة.

كان عليه أن يصفعها قلمين علي وجهها.

والبعض الآخر يستنكر الموقف كلية ويصف زوجته بالمرأة السيئة التي لاتعرف شيئا عن الأخلاق والاحترام.

وشريحة أخري تطالبه بتطليقها ففعلتها لايمحوها إلا الطلاق.

وشريحة أخري نحت منحي آخر وعلقت تعليقات ساخنة.

(فرسة، مهرة، جامدة، مزة، وتحتاج لخيال...)

لكن علاء كان أكثر المتعاطفين مع صديقه عرض عليه الأموال مرات ومرات لكي يسد فم زوجته مادامت الأموال هي مشكلتها الدائمة لكن (علياً) كان يرفض بشدة.

ولما انتهي (علي) من حديثه وما حققه من بطولة خيالية في حلمه، أيقن علاء أن صديقه (علي) حالة ميئوس منها وصلت لدرجة المرض فأعرض عن الكلام وفضل السكوت، وترك صديقه متظاهرا بانشغاله بأداء عمله.

جلس علاء على مكتبه يتفحص وجه صديقه الذي انكب على عمله وغاص كالعادة في الدفاتر فقد كان مشهورا عنه التفاني في عمله ومساعدة زملائه، تأكد علاء أن صديقه لم يعرف بأمر الفيديو بعد وأنه صار أشهر من نجوم السينما، فأشفق على صديق عمره الذي يعرفه منذ الطفولة ويعرف طيبته وأخلاقه وكم هو متسامح إلي أقصي درجة ولايرد الإساءة بمثلها بل يرد الإساءة بنبل وأخلاق فيأسر قلوب من يعرفونه ولكن للأسف زمن الأخلاق والفرسان قد انتهي والطيبة في هذا الزمن (عبط وهبل)

ولاأحد يقدرها بل يداس علي أصحابها بالنعال وخاصة هذه المرأة المتسلطة.

انتهي وقت الدوام ذهب (علي) إلي عمله الآخر بأحد محلات الملابس بوسط البلد كمراجع للحسابات، راجع حسابات اليوم وسلم الإيراد إلي صاحب المحل وتأهب للعودة إلي بيته وبمجرد خروجه للشارع حتي وجد بعضهم يتفحص وجهه.

وصل إلى شارع الغورية وكلما ألقي السلام علي جيرانه يتغامزون ويضحكون ولا أحد يرد السلام فتعجب من هذا الأمر ولكن هداه تفكيره لعلهم قد سمعوا شجاره مع زوجته فلايوجد سبب آخر.

دخل بيته سلم علي زوجته.

- (إنت جيت ياسبع البرومبة وجاي كمان بإيدك فاضية؟)

- ليه هو إنتي كمان مطبختيش؟ ياشيخة حرام عليكي أنا جاي هلكان إرحميني مرة لوجه الله بتعملي إيه طول النهار.
- بلاش دوشة إدخل المطبح واعمل أي حاجة تطفحها واعمل حساب العيال!
- كمان مأكلتيش العيال! وطبعا الطيور مطلعتلهومش وأكلتيهم دول روح زينا إحنا ممكن نستحمل دول لاء.

صعد إلي سطح البيت، وبمجرد أن لمحته الطيور استقبلته بفرح وترحاب كما استقبله أولاده فقد كان حالهم جميعا كسجناء في زنزانة واحدة و(علي) هو الوحيد الذي يملك مفاتيح هذا الحبس الانفرادي فهو الوحيد الذي يطعمهم ويشفي ظمأهم، اتجه لمكان العلف وملأ (العلافة) بالعلف ثم أغرق (السقاية) بالماء وانتظر حتي أكلت الطيور، ثم نزل إلي الشقة، خلع ملابسه، دخل

المطبخ، غسل البطاطس ثم قشرها وأخذ يحولها (لأصابع) ثم وضعها في (طاسة القلية) ثم غسل الطماطم وقطعها (طرانشات) وأخذ يرشها ببعض الملح، ووضع العيش في (الميكروويف) وحتي يعدل مزاجه لابد من كوب ساخن من الشاي، فوضع الماء في (الكاتيل) ثم (لقم) كوبين من الشاي ووضع السكر في كوب صيني لزوجته أما هو فقد كان لايعرف طعم الشاي إلا في كوب زجاج، وبمهارة فائقة يحسد عليها أخرج (الرصة) الأولي وأخذ يُطعم أطفاله وهكذا (الرصة) الثانية والثالثة أما (الرصة) الرابعة فوضعها أمام زوجته ودخل ليصنع له (رصتي) بطاطس تسد جوعه حتي فرغ، ثم سأل أولاده:

- (شبعتم ياولاد)
- الحمد لله يابابا.
- تستاهلوا الحمد.

- خلصتوا واجبكم؟
- لسه يابابا.
- ليه كده ياولاد؟
- ماما مش عاوزة تشرح لنا مسائل الحساب يابابا؟
- معلش ياولاد حادخل الحمام واخد دش وأصلي وبعد كده لما أقوم من النوم أشرح لكم كل إللي إنتوا عايزينه.

كان من عادته بعدما يعود من عمله الثاني ويفرغ من واجباته السابقة يغفو ساعة ثم يستيقظ في التاسعة أو العاشرة علي الأكثر يشاهد برامج التوك شو ونشرات الأخبار أما هي ففي الصالة تتابع برامج الموضة والأزياء، والأولاد الثلاثة بالطبع ملتصقون بالأب الذي يحنو عليهم ويذاكر لهم ويشرح لهم ما استصعب عليهم من دروس.

لكن يخالف (علي) هذا البرنامج يوم الخميس لأن يوم الجمعة إجازته الرسمية فيجتمع هو وعلاء وشلة الغورية علي قهوة الفيشاوي ويتسكعون في خان الخليلي وحي الحسين حتي مطلع الفجر ثم يصلي الفجر في الأزهر أو الحسين ولا يستيقظ إلا علي صلاة الجمعة التي يؤديها في مسجد الإمام الحسين.